

(2)

التحديات التي تواجه مؤسسات التعليم الديني  
في مراحلہ المختلفة

أ. د/ بكر زكي عوض

(عميد كلية أصول الدين - جامعة الأزهر)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

فإن العلم الديني من أشرف العلوم، وأصله وحي إلهي صريح، وأئمة الرسل عند الابتداء، وهو ميراث النبوة، ومن أخذ منه أخذ بحظ وافر وكنز زاخر، وقد شبه الرسول - صلى الله عليه وسلم - علماء الأمة بأنبياء بني إسرائيل<sup>(1)</sup>، إما في الكثرة وإما في التلقي عن الرسول وإما في التحمل والأداء، كما أن آيات القرآن قد استفاضت في الحديث عن العلم وأهله منزلة ومكانة في الدنيا والآخرة، وجعلتهم أعرف الناس بالله بعد الملائكة، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(2)</sup>، كما أنهم من أعرف الناس بالله، معرفة تؤدي بهم إلى خشيته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(3)</sup>، كما أنهم المجاهدون في سبيل الله شأنهم شأن حاملي السيف للذود عن هذه الأمة، فهذا يذود بفكره، وهذا يذود بسيفه، وقد عبر القرآن عن كل منهما بالنفر في سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(4)</sup>، وقال تعالى بحق المجاهدين: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(5)</sup>، وهم الأمة التي ناط الله بها أمر الدعوة في الآية الكريمة: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(6)</sup>.

وإذا كانت الدعوة منوطة بهذه الطائفة التي تخصصت في طلب العلم الشرعي دون غيره من العلوم، فإن النص القرآني قد قيد أمر الدعوة بفقهاء العقول ونور القلوب، وذلك في أمر الله لنبيه أن يصف حاله في الدعوة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(7)</sup>، والبصيرة جاءت منكراً لتذهب

(1) تذكرة الحفاظ، 20.

(2) سورة آل عمران، الآية: 18.

(3) سورة فاطر، الآية 28.

(4) سورة التوبة، الآية: 122.

(5) سورة التوبة، الآية: 41.

(6) سورة آل عمران، الآية: 104.

(7) سورة يوسف، الآية: 108.

النفس فيها كل مذهب في حدود المشروع، وكثرت الأحاديث الداعية إلى الاشتغال بالعلم الديني وبيئت منزلة المشتغلين به من حيث التحمل والأداء والآثار المترتبة عليهما، كما رسمت السبيل للتبليغ في ضوء الآيات القرآنية الموضحة للأسس الدعوية أسلوباً ووسيلة نذكر من هذه الأحاديث قوله - عليه السلام - من حيث التحمل: "يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عَدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْعَالِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالَ الْمَبْطُلِينَ"<sup>(1)</sup>، ومن حيث الأداء قوله - عليه السلام -: "بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدَّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ"<sup>(2)</sup>، وفي حديث ثان: "رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَاهَا كَمَا سَمِعَهَا فَرَبَّ حَامِلٍ فَقِهِ غَيْرَ فَقِيهِ، وَرَبَّ حَامِلٍ فَقِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ"<sup>(3)</sup>، وعن قيد الأداء وفقهه كان الأمر بالانتفاع بالحكمة عند التبليغ، وفي الأثر: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَيْهِمْ"، وفي حديث ثان: "نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَمْرُنَا أَنْ نَخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ"<sup>(4)</sup>، وفي أثر ثالث: "حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"، وهناك عشرات الأحاديث التي بينت فضل التحمل والأداء، وكلها مستقاة من روح الآية الكريمة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(5)</sup>.

ولما كان العلم الديني بهذه المنزلة، وكان حائزه هو المقدم في الدنيا عند الناس والمقدم في الدنيا والآخرة عند الله، إذا التزم بما يدعو إليه، حتى إن أهله قد جعل الله لهم شفاعاة تصل إلى حد أربعين ممن وجبت لهم النار<sup>(6)</sup>، فقد حرص المسلمون عبر التاريخ على الاهتمام بالعلوم الدينية، بدءاً من وقت التنزيل، وتباعاً إلى وقتنا هذا، بل إلى يوم الدين؛ لأن العلماء وورثة الأنبياء، وهم خلفاء الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وفي الحديث: "اللهم ارحم خلفائي من بعدي، قيل: من خلفائك يا رسول الله؟ قال: الذين يأتون بعدي يرددون أحاديثي ويعلمون الناس سنتي"<sup>(7)</sup>.

(1) كنز العمال، 28918.

(2) البخاري، 207/4.

(3) كنز العمال، 28785.

(4) إتحاف السادة المتقين، 65/2.

(5) سورة النحل، الآية: 125.

(6) كنز العمال، 39072.

(7) كنز العمال، 29167، ومجمع الزوائد، 126/1.

إن بعض الصحابة قد انقطع للعلم الديني في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم- كأبي هريرة وابن عباس وغيرهما -، وإن الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يفاوت بين الوفود عند العودة إلى ديارهم بمقدار ما حصلوا من القرآن والسنة، حتى إنه سأل وفداً ذات يوم عما مع كل منهم من العلم الشرعي وبخاصة القرآن الكريم، فأخبر كل بما معه، وإذا بأحد الشباب يقول: يا رسول الله معي كذا وكذا ومعني سورة البقرة، فقال له الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقْرَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: اذْهَبِ فَأَنْتَ إِمَامُهُمْ"<sup>(1)</sup>.

ومدارس العلم الشرعي في تاريخ المسلمين أسبق من مدارس العلم المدني، فلم نسمع عن حلقات عقدت في المسجد النبوي أو المسجد الحرام لدراسة وتدريس العلوم الكونية، وإنما سمعنا عن مجالس أشبه بالمدارس الآن لتدريس العلوم الشرعية، فمن حلق الذكر إلى حلق العلم على اختلاف أشكاله وألوانه الشرعية المباشرة وغير المباشرة.

ومن أئمة التفسير إلى أئمة السنة إلى أئمة اللغة إلى أئمة الفقه إلى أئمة التصوف إلى أئمة علم الكلام. ومن أئمة السياسة الدينية "كالخوارج" إلى أئمة العصبية المذهبية "الشيعة"، كل هذا نبت وأينع وآتى أكله، ومدارس العلوم المدنية لم تبدأ بعد، مع أن النصوص الآمرة بالمعرفة وفضل العلم وفضل العلماء جاءت بصيغة العموم ولم تأت بصيغة الخصوص.

كما أن الوقف الخيري والوقف الذري قد اقتصر في كثير من الجوانب على العلوم الشرعية والمعلمين والطلاب والأمكنة، وقل الوقف بحق العلوم التطبيقية.

وإذا كان المسلمون قد بدأوا في القرن الثالث الهجري دراسة العلوم الكونية والإنسانية وتوسعوا في هذه الدراسة وأثمرت علومهم ومعارفهم الشيء الكثير إلا أن القول بانتفاء المدارس لهذه العلوم كان حقيقة، فكلها جهود فردية أو جهود أسرية ولم تكن مدارس تعليمية.

فنحن نسمع عن مدرسة الكوفيين والبصريين والحجازيين، ونسمع عن أبي حنيفة وصاحبيه ورواد مدرسته، ونسمع عن الإمام أحمد وحملة مذهبه من أبنائه لصلبه وأبنائه في علمه، ويلحق بهؤلاء الشافعي ومالك، كما نقرأ عن الخوارج والشيعة والمعتزلة، ومع هذا نجد أن الحركة العلمية التجريبية كانت فردية، ولهذا نذكر الأسماء دون أن نرى مدرسة لهذا أو ذاك من أمثال: ابن الهيثم، ورجاء بن حيوة، وجابر بن حيان، وثابت بن قرة، وابن النفيس، وأبي بكر الرازي... الخ.

(1) سنن الترمذي، 2876.

### أثر الإسناد في الامتداد الديني للمدارس:

من الآثار المشهورة: "لا تأخذ القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي"؛ لأن القرآن لا يؤخذ من المصحف أو ممن حفظ من المصحف دون أن يكون له سند متصل بالرسول - صلى الله عليه وسلم-؛ لما لرسم المصحف من خصائص لا تمكن من حفظه إلا بعد اتصال السند؛ حتى يكون الوصول إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

كما أن المعلومة لا تؤخذ دون الرجوع إلى معلم شارح لها مبين المعنى القريب والبعيد منها، موضح الخالص والعام، عالم بأسباب النزول، وقاف على آراء الأئمة، قادر على أن يختار من بين الآراء ما يتناسب مع حال الناس، ولعل هذه الشروط كانت معتبرة حتى في حياة الرسول والصحابة، ففقه حديث "لَا يَصَلِّينَ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَيْتِي قَرِيظَةَ"<sup>(1)</sup> قد وقع فيه خلاف، وعلم الرسول به وأقره؛ لإقرار الصحابة على الاجتهاد في فقه النص، ولم يعتب أحد على الآخر صنيعه، وهنا أصبحنا أمام مدرستين، الأولى: مدرسة الظاهر التي تقف بالنص عند ظاهره، والثانية مدرسة المراد أو الغاية أو الروح التي تنظر إلى روح النص دون ظاهره.

وهناك واقعة أخرى أغرب من هذا، حدث في زمن عمر -رضي الله عنه- أن رجلاً من المسلمين قد شرب الخمر، فأتي به إلى عمر فسأله: لم شربت الخمر؟ قال: لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يَجِبُ الْحَسَنِينَ﴾<sup>(2)</sup>، وأنا قد آمنت وعملت الصالحات، فقال له عمر -رضي الله عنه-: إنما نزلت في أناس قال الصحابة فيهم بعد نزول تحريم الخمر ما حال إخوان لنا ماتوا والخمر في جوفهم -وذلك قبل التحريم-، فنزل قول الله -تعالى-، وذكر هذه الآية...

إن المدارس الدينية والكتاتيب والزوايا هي وسائل لتحقيق علم الإسناد في هذا الدين، وهو من خصائص هذه الأمة دون غيرها من الأمم، ولهذا كانت الشهادات في الماضي تعتمد على نظام الإجازات، ولا يزال هذا النظام خارج المؤسسات التعليمية الرسمية، كأن ينال الإنسان إجازة في التجويد بقراءة هذا أو ذاك أو القراءات العشر، وهناك إجازات في علم الحديث وغيرها من الإجازات.

(1) صحيح البخاري، 9/2.

(2) سورة المائدة، الآية: 93.

والأزهر قد اعتمد نظام الإجازة في شهادته، فهو يعطي نظام الإجازة في شهادة الإجازة العالية، ويضع بين قوسين "الليسانس"، ويمنح درجة التخصص الدقيق في درجة "الماجستير"، ثم يعطي لقب "العالمية" لدرجة الدكتوراه؛ حرصاً منه على المصطلحات والأعراف العلمية القديمة. وعلمائنا القدامى عنايتهم بمراحل التعليم وترتيب العلوم واضحة في تراثهم، وأفضل من كتب في هذا الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، حيث راعى التدرج المعرفي، والمستوى العقلي للدارس، ومراتب العلوم، وكيفية إيصال المعلومة... الخ<sup>(1)</sup>.

وقد كثرت مدارس العلم في صدر الإسلام من خلال حلق العلم في المساجد أو بيوت الأئمة أو ما أعد لهذا من بنايات اختلفت مسمياتها، وكانت الظروف مواتية لتحصيل العلوم الشرعية في هذه الأزمنة من حيث: انتفاء التنازع العقلي على طالب العلم الشرعي، فهو أمام معلم وبين يديه كتابه ليتعلم، والبيئة كان العلم الشرعي غالباً عليها، فهو سامع له في البيت والمسجد والمجادلات وصراع العلماء، ولم يكن يشغله طلب الرزق أو العلم بغير العلم الشرعي لانتفاء وسائل الإعلام الحديثة والتي أثرت سلباً على طلاب العلم بعامة وطلاب العلم الشرعي بخاصة.

كما أن اللهو المباح كان محدوداً في هذا الزمن من حيث الكم والكيف، ووسائل اللهو كانت قليلة، ولم تكن الصوارف أو الشواغل عن طلب العلم قد فشت إلى هذا الحد، فلا كثرة مالية ولا طلباً للرزق ولا وسائل إعلامية مسموعة ومرئية، ولا أحداث جسام تذهب بالعقل قبل القلب، ولا سياسة محلية وأخرى عالمية، وإنما هو التفرغ لطلب العلم الشرعي، من طريق النذر والهبة، أو من طريق المحاكاة والمشاكاة، أو من طريق المفاخرة، أو من طريق طلب الشفاعة وتحقق نوالها، فكان الدفع بالأبناء لطلب العلم الشرعي إما في بيت العريف أو المحفظ، وإما في المسجد الجامع، وإما من طريق الهجرة إلى علماء قد طبقت شهرتهم الآفاق، وإما من طريق الوالدية أو القرابة....

ثم بدأت المدارس تظهر، ومؤسسات العلم تبنى، ومسميات شتى للدعاية العلمية تطرح، وزارة المعارف، وزارة التربية، وزارة التعليم، وزارة التربية والتعليم.

وبدأ تقسيم التعليم عن قصد أو دون قصد إلى تعليم ديني وتعليم مدني، وعنيت بعض المؤسسات بالتعليم الديني، وعنيت الأخرى بالتعليم المدني، وانقسم التعليم من حيث الظاهر، وبدأ الناس يفاضلون ويقارنون في بعض الأحيان بين أي التعليمين يكون إلحاق الولد،

(1) إحياء علوم الدين، ج 1.

وتغلب التعليم المدني على التعليم الديني ولعبت عوامل عدة دورها في هذا التغلب؛ حتى أصبحنا أمام تعليم أكثره مدني وأقله ديني، فما الأسباب التي أدت إلى هذا؟ وما التحديات التي تواجه التعليم الديني؟ وما السبيل لعودة التعليم الديني إلى الأمل المنشود منه؟ وهل يمكن وضع برنامج قابل للتطبيق لعودة التعليم الديني إلى سابق عهده لنرى من علماء الأمة فيما هو آت ما رأيناه فيما مضى؟ أم أن الزمان قد مضى والزمان لا يعود بعد مضاء؟ هذا ما تعالجه الصفحات التالية:

### التحديات التي تواجه مؤسسات التعليم الديني:

بلاد العرب سواء، وأكثر مشاكلها مشتركة، والظروف التي مرت بها متقاربة، فقد خضعت للاستعمار في فترات زمنية متقاربة، وبدأت عصر الحرية في فترات متقاربة أيضاً، والنظم الحاكمة في أغلب الأحيان فكرها متقارب، بين ميول دينية لدى البعض باعتبار الدين خير وسيلة لإقناع الرعية بالسمع والطاعة والولاء، وبين آخرين آمنوا بالفكر الاشتراكي أو النظام العلماني ورأوه خير وسيلة لقيادة العباد والبلاد.

وقد انعكس هذا على المؤسسات الدينية في بلاد الإسلام، فضلاً عن كون عوامل أخرى لعبت دورها إيجاباً وسلباً في هذا الاتجاه، وهو ما دفعني إلى تقسيم هذه التحديات إلى:

1- تحديات داخلية: أي داخل العملية التعليمية الدينية.

2- تحديات خارجية: أي تؤثر على التعليم الديني وليست منه.

ثم قدمت تصوراً لعلاج هذه المشكلة. وهذا هو البيان:

أولاً- التحديات داخل مؤسسات التعليم الديني، وتمثل في:

#### 1- المناهج الدراسية:

فيها جانب إيجابي، حيث الاتصال بتراث الأمة والاعتماد على ما ألف في القرون الأولى، وأحياناً يمتد الزمن إلى ما كتب في القرن العاشر والحادي عشر الميلادي، إلا أن أكثر المقررات ألفت منذ مئات السنين، ويلاحظ على هذه المناهج ما يلي:

أ- عدم مسيرتها لروح العصر في كثير من الأحيان، وسوف أضرب المثل بنموذجين من

هذه المقررات:

• النموذج الأول: مادة الفقه، لا تزال هذه المادة تحوي الكثير من المصطلحات التي لا وجود لها في النظم الاقتصادية المعاصرة، وليس أدل على هذا من مصطلح "صاع - مد - مثقال

- سوم - دار كفر - دار حرب" إلى غير ذلك من المصطلحات التي لا وجود لها في لغة الخطاب المعاصرة.

• النموذج الثاني: مادة التوحيد: ما ورد فيها من ألفاظ وعبارات وتراكيب مثل: "الصلوحي القديم - الصلوحي الحادث - تيجيزي قديم - تيجيزي حادث - الهيوبي - الصورة - هل الصفات عين الذات أو زائدة عليها؟"، فضلاً عن الخوض في أمور غيبية بلا دليل ولا برهان، والخوض فيما نهينا عن الخوض فيه ككون الإنسان مسيراً أو مخيراً. وطرح الأسئلة المتعلقة بالميزان في الآخرة، وهل هو للصحف أو للأعمال أو لهما معاً؟ وهل الميزان حقيقي أو معنوي؟..... إنلخ.

ومن هنا يمكن القول: إن بعض المناهج جافة جامدة أكبر من قدرات الطالب العقلية، وكانت تفرض علينا فرضاً، وما لا نستطيع أن نفهمه كما نحفظه، وأحياناً نرسب في المادة؛ لشك المصحح في كون الطالب قد نقل المادة العلمية من الكتاب.

ب- الروح التربوية في المواد العلمية الدينية محدودة، إن لم تكن منتفية إلا من تنمية ملكة الحفظ دون ملكة الإبداع والاستنباط.

هذا عن المضمون من ناحية، ومن ناحية ثانية فعدد المواد في الدراسات الدينية ضعف عدد المواد في التعليم المدني، إن لم يزد فإنه لا يقل، وهو ما يشكل عبئاً على الطالب في الدراسة والامتحان والمقارنة وتعذر النجاح والتأثير على المجموع الكلي، فلو تصورنا أن طالباً يفقد في كل مادة درجة واحدة فإن هذا يؤثر لا محالة على المجموع الكلي.

ج- كما أن التنسيق بين المواد في موقعها مثار عجب، فغالباً ما تكون المواد الثقافية في ساعات الدراسة الأولى، وتكون المواد الشرعية في نهاية اليوم الدراسي، كما أن المواد التي كانت تشكل النبوغ وتظهر المواهب قد عطلت عن التفعيل كمادة الإنشاء والخطابة.

## 2- كفاية هيئة التدريس:

أساتذة المؤسسات الدينية في الماضي غيرهم في الحاضر، فالسابقون كانوا أولياء أئقياء أصفياء أئقياء، ترى نور الإيمان في وجوههم أو قل قول الحق: تعرفهم بسيماهم. لقد كان بعضهم يحدث بعض الطلاب بما وقع منه سراً، ويطلب منه أن يذهب ليغتسل؛ لأنه يطلب ميراث النبوة.

كما أنهم كانوا يرون الأداء التعليمي رسالة لا وظيفة، وكانوا يحملون الطلاب على احترامهم من خلال السلوك الحسن، ولهذا لم نسمع في الماضي عن دروس خاصة ولا عن عجز في

فهم المادة ولا عن إكراه على الدروس، ولم نسمع عن مدرس دخل الحصة متأخراً أو خرج منها مبكراً، بل بعضهم كان يفرح إذا اتصل وقت الراحة بحصته التي يؤديها؛ ليشغل وقت الراحة "الفسحة" بإكمال الدرس أو الإجابة على الأسئلة أو فتح حوار حر مع الطلاب لحل مشاكلهم.

ولما كان الزهد دينهم فإنهم كانوا يعطون الكثير ويرضون بالقليل ويعيشون عيشة الزهاد والنسك، ما رأينا واحداً منهم قد ركب سيارة خاصة وأقصى ما يمكن دراجة عادية يقطع بها بضعة كيلومترات؛ ليأتي في مواعده وينصرف بعد مواعده.

وكان السجال بين المدرسين قائماً، وكانت المناظرات تعقد، وكان الطلاب يلعبون دورهم أحياناً في تأجيح الخلاف الفقهي بخاصة بين أهل الاختصاص. كما أن التباري بين الأساتذة في حديث الصباح كان وصفاً لازماً وأحياناً في فسحة الظهر، وكنا نراقب ذلك بشغف ونقارن بين المتحدثين ونكتسب الكثير من العلوم والمعارف من خلال هذه السجلات العلمية.

وفي زمننا هذا ضعف شأن المدرسين وقلت بضاعتهم، وأصبحوا واقفين عند الحد الأدنى من المعرفة المتصلة بالمادة، بل إنه لا يدرك من مادته إلا ما يقع في المقرر الذي يشرحه، فلا يشغل نفسه بأمر الفقه بعامة والنحو بخاصة إلا بمقرر السنة التي أخذ جدولها فيها، وأما الأستاذ الموسوعي فقد اختفى إن لم يكن قد انتفى.

والدورات التدريبية محدودة للغاية، وهي تعتمد على المعارف أكثر مما تعتمد على الكفاءة، وأحياناً تكون صورية؛ لأن فيها مصالح متبادلة بين المدرب والمتدرب، فالأول المردود الاقتصادي يدفعه إلى التغاضي، والثاني حصوله على شهادة إتمام الدورة يكفيه. ما أحوجنا في هذه الأيام إلى المدرس المتخصص في مادته الموسوعي في معرفته حتى يكون قدوة لتلاميذه، كما أن السلوك الحسن والمظهر الحسن من عوامل التأثير والتأثر بين المعلم والمتعلم.

### 3- الطلاب المنتسبون إلى التعليم الديني:

إن بعض الميسورين وأصحاب النفوذ والجاه والسلطان هم الذين يلحقون أولادهم بالتعليم الديني، وأكثر المنتسبين إلى التعليم الديني من الطبقة المتوسطة والمعدمة. وإذا كانت العملية التعليمية تتطلب تفرغاً من طالب العلم فإن أكثر هؤلاء يعملون على حساب طلب العلم من أجل طلب الرزق، وهو ما يؤثر على وقت التحصيل.

كما أن بعض الآباء لا يلحقون بالتعليم الديني من أبنائهم إلا من كان ذا عاهة، وكان هذا التعليم قد خصص لهذه الفئة من البشر.

وأدنى دراسة ميدانية مقارنة بين اثنين من الأشقاء لإظهار الفروق بينهما في الملبس والمصروف ووسائل الانتقال... إلخ تظهر ذلك.

ومع هذا التفاوت فإن الله لم يشأ أن يحرم بعض المنتسبين من النبوغ في العلم الشرعي، ومن يقرأ سير كثير من أعلام الفكر الإسلامي يدرك أنهم من فقراء المسلمين على وجه الخصوص.

#### 4- أماكن الدراسة:

إذا كان للمكان أثره على طالب العلم، بكونه التربة التي ينبت فيها هذا الغرس، فإن أكثر مؤسسات التعليم الديني تصل إلى حد الانعدام من القواعد الأولى اللازمة للعملية التعليمية.

إن أكثر الكُتّيب لتحفيظ القرآن غير مؤهلة لرسالتها، غير أن بها أرضاً يجلس عليها الراغب في حفظ القرآن، وبأعداد غفيرة ومختلطة بين البنين والبنات، كما أن أكثر المعاهد المعدة للعملية التعليمية دون المستوى إذا قورنت بمثيلاتها من التعليم المدني.

ولندرة المؤسسات التعليمية الدينية فإنها تقع على مسافات بعيدة من سكن بعض الطلاب الذي يؤدي إلى انصراف بعضهم عن الالتحاق بهذه المعاهد، كما أنها لا توفر من وسائل المواصلات بمثل ما توفر المدارس المدنية من وسائل.

ومؤسسات التعليم الديني أقل عدداً من مؤسسات التعليم المدني، كما أنها أقل إمكانات وأضيق في المساحة وأقل في الأعمار الداخلي من غيرها.

#### 5- الموارد المتاحة:

التعليم الديني كان يعتمد بالدرجة الأولى على أوقاف أهل الخير، وكانت تنفي بحاجة الدارسين، ووصل الأمر إلى حد صرف الأطعمة وتوفير السكن والكساء وإعطاء قدر من المال كمصروف جيب في بعض الأحيان.

كما أن أمات الكتب تسلم بالمجان إلى هؤلاء الدارسين، في المؤسسات الدينية الكبرى كالجامع الأزهر ومعاهده الكبرى في عواصم المحافظات.

واليوم توقفت الأوقاف عن ذي قبل، وأخذ الكثير من مال الأوقاف؛ ليرد إلى خزينة الدولة، وبعض مقاطعات الأوقاف التي أجرت بما يدر عائداً في الزمن الماضي لم يعد العائد يسمن أو يغني من جوع، وهو ما ينعكس سلباً على موارد هذه المؤسسات، كما أن بعض

الحكومات قد تعهدت بضم الأوقاف إلى خزينة الدولة، على أن تتولى هي شؤون الإنفاق على المؤسسات الدينية، وقد نكصت عهدها، فلا هي تركت عائد الأوقاف للمؤسسات الدينية، ولا هي أنفقت على مؤسسات التعليم الديني بقدر ما أنفقت على مؤسسات التعليم المدني. كما أن وسائل التعليم الحديثة ووسائل الإيضاح لم تدخل المؤسسات الدينية إلا بعد فترة من الزمن، حين أدرجت كانت وراء الإصدارات الحديثة لهذه الآلات.

#### 6- سنوات الدراسة:

من صوارف الطلاب عن طلب العلم الديني في الماضي أنه قد زاد في سنوات الدراسة في بعض المراحل، ولما كانت العملية التعليمية مكلفة للأفراد ومكلفة لأولياء الأمور، فإن بعض الطلاب كان يرفض الالتحاق بالدراسات الدينية، وأحياناً يرفض بعضهم الاستمرار، وكانت حجتهم الأولى طول سنوات الدراسة.

والحقيقة أن سنوات الدراسة تشكل أزمة في عملية التعليم الديني؛ لأن المضمون العلمي واسع، فإن بقي على ما هو بقيت المشكلة في سنوات الدراسة كما هي، وإن أعيد النظر في سنوات الدراسة بالاختصار كان رد الفعل سلبياً حال الحذف لبعض قضايا المنهج، وهو ما يؤثر على العملية التعليمية، وكان سلبياً أيضاً حال ضغط المناهج؛ لأن الطالب سوف يتحمل فوق طاقته.

ونسبة الرسوب في التعليم الديني أكثر منها في التعليم المدني، وبخاصة أن بعض المواد الآن بعد إهمالها أو العجز عن تحصيلها أصبحت تشكل قاعدة أساسية في الرسوب مثل: مادة القرآن الكريم لغير حافظيه، في الوقت الذي تشكل فيه مادة تفوق لحافظيه، ويلحق بهذا مادة اللغة الأجنبية؛ لأن أكثر طلاب المؤسسات الدينية يهملون اللغة الأجنبية لحساب اللغة العربية - إن لم أخطئ في التقدير.

وعن التناسب بين سنوات الدراسة ومواد الدراسة سأقدم المقترح في نهاية البحث إن شاء الله.

#### 7- تهلت النابهين من التعليم الديني أو العدول عن الكليات الشرعية إلى الكليات العلمية:

هذه ظاهرة حديثة لم تكن معروفة من قبل، وليس أدل على هذا من أن التعليم الديني لم يكن يقبل نقل طلاب التعليم المدني إليه، ولم يكن يقبل نقل طلابه إلى التعليم المدني. وفي الآونة الأخيرة أذن لطلاب المؤسسات التعليمية الدينية بالانتقال إلى التعليم المدني، وكان أكثر الراغبين في هذا هم الطلاب المتفوقين الذين كانوا يرون أنفسهم أكبر من البقاء

في التعليم الديني، ويريدون أن نتاح لهم فرص جامعية لم تكن متوفرة للتعليم الديني حينها، مثل: الجيش والشرطة والفنية العسكرية... إلخ.

وفي الوقت نفسه أذن لطلاب التعليم المدني بالالتحاق بالتعليم الديني، ورغب أكثر الضعفاء في التعليم المدني في النقل إلى التعليم الديني، وكم أجريت معادلات صورية لم تسفر عن رفض أي راغب من طلاب التعليم المدني من الالتحاق بالتعليم الديني.

كما أن مشكلة كبرى داخل المؤسسات التعليمية الدينية، هي المؤسسات التي أنشأت تقسيمات في المرحلة الثانوية، وكذلك الكليات العلمية، لقد انعكس التقسيم إلى أدبي وعلمي في المرحلة الثانوية، وإلى كليات شرعية وكليات علمية عملية سلباً على المؤسسات الدينية.

فالطلاب المتفوقون في المرحلة الإعدادية يميلون إلى القسم العلمي دون الأدبي - إلا من رحم ربي -، والطلاب المتفوقون في الثانوية يلتحقون بالكليات التطبيقية أو كليات القمة كما يزعمون -، وهذا يعني أن طلاب الكلية الشرعية هم الفرز الثالث من الطلاب الملتحقين بالمؤسسات الدينية.

ثانياً- التحديات الخارجية التي تواجه مؤسسات التعليم الديني:

أقصد بكلمة الخارجية أي: الخارجة عن عملية التعليم الديني، وإن كانت آثارها واقعة عليه، وهذه التحديات كثيرة، ولكني أخص منها بالذكر ما يلي:

أولاً- سياسة التعليم المدني وأثرها على التعليم الديني:

في الوقت الذي خضع فيه العالم العربي الإسلامي للاستعمار حرص الاستعمار على تقسيم التعليم إلى ديني ومدني، وحرص في الوقت نفسه على أن يجعل للتعليم المدني من الخصائص والمزايا ما لم يجعل لغيره من صور التعليم الأخرى.

ولما كانت الحضارة الغربية قد راجت في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فإن التأثير والتأثر قد بدأ في الحركة العلمية المدنية، فكثرت المدارس بحق التعليم العام في مراحل الثلاث، وكثرت الجامعات أيضاً، حتى أصبحت مناهضة للتعليم الديني، وليس أدل على هذا من أن كل دولة من الدول الإسلامية - إلا ما نذر - قد توفر بها عدد من الجامعات المدنية، ولا يوجد بها إلا مؤسسة جامعية دينية واحدة، إن لم تصل إلى مرحلة الذبول أو الذكري، كما في بعض جامعات دول المغرب العربي التي كانت من أعرق الجامعات وأقدمها في العالم الإسلامي. ويمتاز التعليم المدني من التعليم الديني في ضوء ما يرى ناظروه بالآتي:

- 1- قلة عدد المواد الدراسية.
- 2- قلة عدد سنوات الدراسة.
- 3- تطور وسائل التعليم المدني.
- 4- وجود أساتذة تربويين أكثر من غيرهم في المؤسسات الدينية.
- 5- إتاحة الفرصة لتعليم البنات في الوقت الذي لم يكن متاحاً فيه تعليم البنات في المؤسسات الدينية إلا في مراحل متأخرة.
- 6- انتفاء التراكمية في بعض المواد، وبخاصة حفظ القرآن الكريم كاملاً، وهو ما يؤدي إلى انصراف الطلاب في بعض الأحيان عن طلب العلم الشرعي.

#### ثانياً- المستقبل الوظيفي لخريجي التعليم الديني:

من الأمور البديهية أن الغايات مرادة من المقدمات، وأن النتائج المترتبة على المقدمات تلعب دوراً كبيراً في الإقدام أو الإحجام، والمؤسسات الدينية في القرون الأخيرة، بل وفي واقعنا المعاصر لا يجد خريجوها فرصة عمل إلا في دواوين الأوقاف أو المحاكم أو تدريس العلوم الشرعية في بعض مؤسسات الدولة.

في الوقت نفسه كانت فرص العمل متاحة لخريجي التعليم المدني في جميع وظائف الدولة، بل إن الوظائف الكبرى كانت حكراً على تخصصات بعينها، فلم نسمع رئيس وزراء أو وزير -سوى وزير الأوقاف والشئون الدينية- أو محافظ أو رئيس مجلس مدينة فضلاً عن رئيس دولة في العالم العربي من خريجي المؤسسات الدينية، كما أن الوظائف العسكرية كانت محجوبة عنهم فيما سبق.

ولما كانت هذه الوظائف قاصرة على التعليم المدني فإنه قد صار صارفاً عن التعليم الديني، ويشكل تحدياً له في الواقع المعاصر.

#### ثالثاً- الواقع الاجتماعي:

إن نظرة المجتمع الإسلامي إلى خريجي الدراسات الدينية تنسم بالاحترام والتقدير من قبل بعض الناس، وتنسم بالإهمال إن لم يكن الاحتقار من قبل بعضهم الآخر.

ولما كانت مراتب العاملين في الحقل الديني من أقل المرتبات، وكان العمل القائم بهم يعتمد على الحسبة أكثر من اعتماده على الأجر، فقد قل الدخل عن الحاجة، وظهرت صورة الفقر بادية على كثيرين منهم في ظل هذه الظروف، وليس أدل على هذا من أن

أكثر التخصصات لها مواد رزق من خلال تخصصاتها، فالطبيب والمهندس والصيدلي والمحاسب ودارس القانون وغيرهم بإمكانهم فتح مكاتب عمل على اختلاف مسمياتها؛ لطلب الرزق، وأما خريجو المؤسسات الدينية فإن أكثر أعمالهم من دون أجر مادي، فالفتوى والرقية والدروس الدينية كل هذا بلا مقابل إلا من الله.

#### رابعاً- الإعلام المشبوه:

شاءت الأقدار أن تأتي الطفرة الإعلامية مع بزوغ نجم الشيوعية، ولما كان الكثير من الدول العربية والإسلامية قد دار في فلك العلمانية تحت مسمى: "الدولة العصرية أو المدنية"، فإن كلا الاتجاهين يعادي الدين من طرف خفي، وأكثر الأفلام العربية القديمة هي من صناعات يهودية إنتاجاً وتوزيعاً، فضلاً عن دور القائمين على التمثيل فيها، وكانت الريادة في هذه الفترة لمصر صاحبة السبق في الإنتاج الإعلامي المرئي، وقد ترتب على هذا ما يلي:

1- تشويه صورة رجل الدعوة أو العالم الديني في المسلسلات والأفلام والمسرحيات، حتى إن بعض المسرحيات قد سميت باسم: "الشيخ متلوف"، وتناول أدعياء الفن على أهل العلم الديني؛ لأن كثيرين من الفنانين كانوا "لا دينيين"، أو شيوعيين أو علمانيين فصبوا جام غضبهم على علماء الدين، وهو ما شكل أزمة نفسية لدى أولياء الأمور وطلاب العلم الديني في بعض الأحيان.

2- تشويه صورة المشتغل بالعلم الديني، فقد شوهدت اللغة العربية، وتم الاستهزاء بها، وصارت مضرب السخرية في بعض الأحيان.

3- لم يقف الأمر عند حد الإعلام المرئي، بل إن المسموع قد شارك في هذا الأمر، ولحق به كذلك الصحف والمجلات، بل إن بعض المجلات لم يكن لها من عناية إلا تشويه صورة العلماء؛ لأن تشويه صورتهم سوف يؤدي إلى فقدان الثقة فيهم، ومن ثم يضعف تأثيرهم الدعوي؛ لتحل الشيوعية محل الدينية.

4- مما زاد الطين بلة أن بعض الخريجين من المؤسسات الدينية أو المنتسبين إليها قد جاروا هؤلاء، فكتبوا ما لا يحمد لتبرير الفكر الاشتراكي، بمثل ما رأينا في كتاب الإسلام دين الاشتراكية، الاشتراكية والإسلام، وغير هذا من المقالات التي تبرر الفكر الشيوعي. وقد أدى هذا إلى إصدار أحكام بصيغة العموم تقدرح في العلماء، وتنتقد فكرهم وتشوه صورتهم، وهو ما أدى إلى أزمة نفسية في بعض الأحيان.

### خامساً- الحكومات والأنظمة المختلفة:

مما لا شك فيه أن السياسات التعليمية تتأثر بأسلوب واتجاه ميول ولي الأمر، فإذا كانت ميولاته اشتراكية اتسمت الثقافة السائدة في المؤسسات العلمية بهذه الميول، وإذا كانت علمانية أو ليبرالية أو سوى هذا اتسمت الحركة العلمية بهذه السمة، ولهذا رأينا بعض ولايات الأمر في بعض بلاد العرب لهم ميول دينية، فكثرت معاهد العلم الديني، ونمت مؤسساته واتسعت دائرته، وفي الوقت نفسه رأينا أناساً تولوا أمر العباد والبلاد، فرأوا الخطر كامناً في الوعي الديني، الذي يوجب النصح لولي الأمر ابتداءً، فإن لم تكن إجابة فتكرار النصح، فإن لم تكن استجابة فالعزل من طريق أهل الحل والعقد، ومن هنا حارب هؤلاء الميول الدينية الهادئة، وحاربوا التعليم الديني، وضربوا مؤسساته، وجعلوا من أنفسهم مجددين مع جهلهم بأبجديات الدين.

ومن هؤلاء من أهان العلماء ورماهم بالجهل، ووجد من المرتزقة وتجار العقائد من يمالئه في فكره وسلوكه، وانعكس هذا سلباً على التعليم الديني، فأبي عاقل لا يمكن أن يلقي بابنه في تعليم مصيره إلى السجن بعد انتهاء التعليم وبداية العمل. إن الواقع ليؤكد أن مؤسسات دينية عدة قد ألغيت أو أدمجت أو طورت فدمرت؛ لأن التدمير كان كامناً في التطوير، كل هذا لإرضاء هذا الحاكم أو ذاك.

ومن التحديات التي واجهت المؤسسات التعليمية الدينية الحكومات المتعاقبة التي تحرص على تدمير ما فات وإصلاح ما هو آت، ويتصل ذلك بالنظام التعليمي من حيث عدد السنوات وعدد الساعات وطبيعة المواد إلى غير ذلك، وهو ما أثر سلباً على المؤسسات التعليمية بعامة والتعليم الديني بخاصة.

### سادساً- مستشارو التعليم الغربيين:

إن أكثر الدول العربية تعتمد على الخبراء الأجانب في وضع مناهج التعليم، وإذا كان التعليم الديني يعتمد في شق من جانبه على العلوم المدنية، فإن الجمع بين المتناقضات يتم في الجمع بين المواد الدينية والمواد المدنية، فالقرآن قد نص على ترتيب الكون من قبل الحق - سبحانه -، وذلك في آيات سورة فصلت، ومادة الجغرافيا تتحدث عن الانشطار الكوني أو نظرية السديم دون اعتداد من قبل واضعي المناهج للنص القرآني، وأحياناً يطلب الدليل من القرآن والسنة لتأييد هذه النظريات، ومثل هذا ما ورد في القرآن الكريم من حديث عن

أطوار خلق الإنسان منسوبة إلى الله - سبحانه وتعالى - في قول الحق - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً نَحْلَقُنَا الْعَلَقَةَ مِضْغَةً نَخْلَقُنَا الْمِضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾<sup>(1)</sup>، هذا عن أطوار الخلق الثاني. أما خلق الإنسان الأول فقد تم النص على أطواره في آيات عدة، يمكن ترتيبها على النحو التالي: "تراب - طين - طين لازب - صلصال كالفخار - تسويته إنساناً - نفخ الروح فيه".

وتأتي نظرية دارون المقررة في مادة الأحياء وغيرها من المواد لتزعم أن الإنسان أصله قرد، وأنه ترقى عنه حتى وصل إلى ما وصل إليه. ونظرية التحليل النفسي وآراء فرويد في الجنس والغرائز غير خافية عن أحد، وهي مما يدرسه الطلاب في المراحل التعليمية الأولى. إن هذه الآراء مما أدخله الغرب في مناهج التعليم الديني في المواد الثقافية في الوقت الذي أبطل الغرب فيه هذه النظريات. إن بعقول العرب والمسلمين من الأفكار والرؤى ما يمكن المؤسسات التعليمية الدينية أن تحقق ما تصبو إليه.

#### سابعاً- الفرص المتاحة وغير المتاحة بحق الدارسين في القطاعين:

إن هذا العنصر يشكل ضرباً من التحدي الأكبر لدى الدارسين في المعاهد الدينية؛ لأن أكثر المنح التي تعرض على الدارسين تكون في التخصصات المدنية، وأما المؤسسات الدينية فلا تجد رواجاً لها في البعثات الخارجية، بل يرى بعضهم أن البعثات إلى أوروبا وأمريكا في المجال الديني يعد ضرباً من الشبهة أو غسيل المخ أو إنشاء كيانات مستغربة في الجامعات الدينية، وإن كنت أرى أن تعميم الأحكام لا يستقيم؛ لأن بعض الدارسين عادوا بلغة أجنبية ترجموا بها بعض الكتب، وترجموا إليها بعض الكتب وحاضروا بها، وكتبوا المقالات بهذه اللغات فخدموا الإسلام.

وآخرون قد عادوا ينكرون الدين، ويطعنون في مبادئه، ويشككون الناس في ثوابته، فكانوا أبواقاً لغلاة المستشرقين في ديار الإسلام.

(1) سورة المؤمنون، الآيات: 12-14.

ولا يقتصر أمر الفرص المتاحة وغير المتاحة على الإيفاد إلى الخارج، بل في داخل البلد نفسها نرى تفاوتاً وتفاضلاً، سبقت الإشارة إليه في العنصر الثاني من هذا الاتجاه "المستقبل الوظيفي لخريج التعليم الديني".

إن هذه هي أبرز التحديات في ضوء الواقع الذي ألمسه وأعيشه مع بعض طلاب العلم في المؤسسات الدينية، ومن خلال استطلاع الرأي سريعاً من قبل بعض أهل الاختصاص في هذا الميدان.

#### الحلول المقترحة للتغلب على هذه التحديات:

إذا كان رصد المشكلة من اليسر بمكان، فإن تقديم الحل قد يكون أصعب من رصد المشكلة، وقد يقدم الحل ويتعذر التنفيذ، لهذا حرصت على أن أبدي رأبي مع مشورة الحاضرين، علنا نقدم تصوراً ناجحاً ودواءً ناجعاً لعلاج أزمة التعليم الديني في دار من ديار الإسلام، وأرى من وجهة نظري العلاج في الآتي:

#### أولاً- بيان منزلة العلم الديني وأهله في الدنيا والآخرة:

آيات القرآن في هذا تبلغ حداً في الكثرة، منها ما نص على فضل العلم، ومنها ما نص على فضل العلماء، ومنها ما قدح الجهلاء، ومنها ما عاب المعطلين عقولهم؛ حتى جعلهم أدنى درجة من الأنعام، ومنها ما نص على ندم المعطلين لعقولهم عن إدراك العلم الديني، ومنها ما وصف من حمل العلم الديني ولم يعمل بصفات تنفر من سلوك هذا السبيل.

وفي السنة أحاديث لا يعلم عددها إلا الله، قد وردت في فضل العلم الشرعي، وفضل حملته وفضل مبلغه، وصرحت الأحاديث بشفاعة العلماء العاملين في أهلهم، وبينت الأجر المترتب على حفظ القرآن والعمل به، وبينت ثواب الوالدين اللذين يقومان بهذا الأمر.

إن أولياء الأمور إن علموا بهذه الأمور فإنهم سيقدمون على إلحاق أولادهم بهذه المؤسسات الدينية أكثر من ذي قبل، وبخاصة أن فرص العمل قد أتيحت أكثر من السابق لخريجي المؤسسات الدينية، وأن الالتحاق بكثير من الكليات الممنوعة في الماضي قد أتيحت في الحاضر والقادم، إن شاء الله.

ثانياً- إعادة النظر في مناهج التعليم الديني من حيث الكم والكيف:

إذا كنا نريد دعاة متخصصين وعلماء شرعيين فعلينا أن نقلل من عدد المواد المدنية لحساب المواد الدينية، ويكفي قدر من الثقافة العامة؛ لنملاً الفراغ بحفظ المتون والرجوع إلى كتب التراث والوقوف على الرصيد الزاخر لأمة الإسلام، مع القرآن الكريم. إن عدد المواد في مراحل التعليم الأدبي قد وصل في بعض الأحيان إلى ستة عشر مادة، فما المانع أن نجعلها ثمانية؟ نركز على القرآن الكريم ومادة التفسير وعلوم القرآن، والحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والتوحيد ومضمونه، والسيرة والسير، واللغة العربية وآدابها مع كتاب واحد في المقرر، وبهذا نخفف العبء عن الطلاب من حيث عدد المواد، ونتمكن لهم في مواد التخصص، وعلينا أن نعيد النظر في منهج القرآن الكريم، وأن نحضر أهل الاختصاص من التربويين الذين يقدرون مقدار ما يحفظ في ضوء القدرات العقلية من النص القرآني، وأن نجعل هذا الأمر تراكمياً، وإن تعذر الإتمام في المرحلة الابتدائية أتمناه في المرحلة الإعدادية، المهم أن يكون الحفظ كما ينبغي، وبالصورة والحالة التي لا يتأتى معها النسيان.

ثالثاً- إعادة النظر في سياسة التعليم الديني بعامة:

هذا الأمر يتطلب عقد مؤتمرات وندوات لعل هذا أولها؛ لمناقشة الزمان والمكان والمناهج ومراعاة مستوى العقول وتقدير ما يمكن تحمله من قبل الطلاب، كما أن إعادة النظر في المناهج أصبح ضرورة لا بد منها ولا غنى عنها؛ لتواكب الزمان والثقافة السائدة. إن كثيراً من المستجدات لا بد منها ولا غنى عنها؛ لتواكب الزمان والثقافة السائدة. من حذفه من الكتب التعليمية. إن الفقه الافتراضي لا يتأتى قبوله بالكلية، ولا يتأتى رده بالكلية. كما أنه لا يتأتى أن نطرح تفسير بعض آيات القرآن الكريم في زمننا هذا في ضوء التقدم العلمي المبرر للعقول.

فهل يمكن في أيامنا هذه أن نفسر الآية الكريمة: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾<sup>(1)</sup>، والآية الكريمة: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾<sup>(2)</sup>، وقوله - سبحانه -: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّا جَعَلْنَا لَكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(3)</sup> بأن

(1) سورة القلم، الآية: 1.

(2) سورة ق، الآية: 1.

(3) سورة لقمان، الآية: 16.

"نون" هو الحوت، وأنه حامل الأرض على أحد قرنيه، وأنه واضع قدميه على الصخرة التي أشير إليها في سورة لقمان، وأنه إذا أراد مد نقل الأرض من على قرن إلى قرن وقعت الزلازل والبراكين، وأن "قاف" جيل فيه العجائب والغرائب... إلخ.

إن وجود مثل هذا الكلام في كتب التفسير لا يبرر نقله إلى الطلاب في أيامنا هذه، مع أنه ورد في تفسير ابن جرير الطبري وتفسير ابن كثير وغيرهما من التفسير بالمأثور. ويلحق بهذا ما ورد بحق الرعد والبرق وذو القرنين وعوج بن عنق ولقمان ومريم وغير هذا مما ورد في كتب التفسير.

وإذا كنا نطالب بحذف هذا من كتب ومقررات التفسير فإننا بحاجة إلى أن نضيف إلى تراثنا الإسلامي ما طاب من العلوم والمعارف، وبخاصة ما تعلق ببعض الآيات الإنسانية وبعض الآيات الكونية التي تؤكد على معنى أقرب إلى ظاهر النص من المعاني السابقة، وبخاصة في حال عدم فصل النص عن السياق، وهو ما يعرف بالتفسير العلي للنص القرآني والحديث النبوي وفق القواعد والنصوص المتعارف عليها.

كما أن تثبيت سنوات الدراسة واختيار ما تيسر من الكتب، وتدريب مدرسي المعاهد على كافة وسائل الإيضاح الحديثة وتدريب الطلاب على استخدام الحاسوب في تخرّج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأبيات الشعر والأحكام الفقهية، كل هذا مما ينبغي الاستعانة به الآن في العملية التعليمية.

إن الموسوعات العلمية التي صدرت بحق التفسير والحديث والفقه والأصول والشعر وعلم الكلام... إلخ، قد بلغت حداً في الكثرة وتعددت بتعدد مراكز الإصدار، ومع هذا طلابنا بعيدون عن هذه الوسائل إلا من رحم ربي.

رابعاً- تغيير صورة الإعلام السليبي بحق المتخرجين من التعليم الديني:

إن الإعلام المرئي في فترة الحكم الشيوعي أو الحكم الاشتراكي قد ركز كثيراً على تشويه صورة العالم، وبخاصة إذا كان يتسم في ملبسه بسمة معينة يعرفه بها العام والخاص، والغاية هي تحويله من محل احترام وتقدير إلى كونه مصدر سخريّة وترفيه.

إن علماء المؤسسات الدينية لهم وزنهم وقدرهم في شريعة الإسلام، ولهم وزنهم وقدرهم عند أهل التقدير والاحترام، وإن من سير هؤلاء ما يذكر فيشكر، وما يستحق أن ينشر، لقد قاوموا الاستعمار، وحركوا الرأي العام ضده، ونصحوا الحكام، ونزل بهم أحياناً الإعدام،

وما لانت عزيمتهم، ولا وهنت إرادتهم، أو لا يستحق هؤلاء أن تتخذ ذكراهم بالحديث عنهم وعن آثارهم، عملاً بقوله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(1)</sup>.

والعجب أن الاستهزاء والسخرية قاصر في الإعلام على علماء الدين الإسلامي، ولم نر استهزاءً برجل دين مسيحي أو حتى شيوعي، وكأن هؤلاء معصومون من الخطأ على حين العلماء قام بهم كل خطأ.

إن بعض ولاية الأمر كان لا يكرم العلماء إلا لضرورة، كأن يظهر للناس أنه متدين، أو أن رغبته في تدين الشعب، أو ينتظر من العالم أن يلقي خطبة يوجه فيها الرأي العام وفق هوى الحاكم، أو يطلب منه التأييد والنصرة قبل دخول المعارك وأثائها، أو يستعين ببعضهم لإصدار فتاوى تحرم الخروج عليه، -أي: الحاكم-، وتوجب له السمع والطاعة، كل هذا قد أضر بصورة علماء الدين، وبخاصة أننا رأينا الإعلام في الآونة الأخيرة يأتي برأيين متضادين لعالم واحد، ماذا قال قبل الثورة؟ وماذا قال بعدها؟ ماذا قال قبل جلوسه على الكرسي؟ وماذا قال بعد جلوسه؟ ماذا قال قبل ترشيحه لهذا العمل أو ذاك؟ وماذا قال بعد ترشيحه؟.

وعلى خريجي المؤسسات الدينية أن يحفظوا على أنفسهم استقلالهم واستقرارهم وكرامتهم، فن هانت عليه نفسه كانت على الناس أهون، ومن يهن يسهل الهوان عليه، ومن لا يعز نفسه أذلها، ومن لا يعلو بها أهدر كرامتها، فبعض شريك في هذا الهوان حين هان.

### خامساً- إحداث توازن تام بين خريجي التعليم الديني والتعليم المدني:

يتم ذلك من خلال تمكين خريج التعليم الديني من كافة مواقع العمل المتاحة لنظرائه من الكليات الأخرى، وفتح باب المعادلات لهم لإكمال دراستهم العليا أو إعادة الالتحاق ببعض الكليات التي يرغبون في الالتحاق بها من الجامعات الأخرى، فضلاً عن حظهم من مواقع الريادة والقيادة كالمحافظين ورؤساء مجالس المدن ومجالس الحي وغير ذلك من المواقع، التي لا نرى فيها خريجاً من المؤسسات الدينية، وكأن غاية ما ينتهون إليه من مناصب هو تولي بعض مواقع القيادة داخل المؤسسات الدينية التي يعمل بها.

(1) سورة يس، الآية: 12.

سادساً- فتح كافة الكليات العسكرية وغير العسكرية وفق قواعد القبول بهذه الكليات: إن بعض الكليات كانت تمنع طالب التعليم الديني من الالتحاق بها، وأحياناً يأذن بقبول الأوراق من باب ذر الرماد في العيون، ولكنها في الوقت نفسه لا تقبل الشخص نفسه، خوفاً من وجود خلايا دينية أو تكوينها داخل هذه المؤسسات، ومع هذا ظهرت هذه الخلايا من خلال أناس لا يمتون إلى الدراسات الدينية بصلة.

كذلك الالتحاق بكليات السلك السياسي والدبلوماسي قاصر على غير الدراسات الدينية في بعض البلدان الإسلامية، فضلاً عن أن السفراء والمستشارين لهذه الدولة أو تلك إنما هم من خارج التعليم الديني.

وعلينا ونحن نضع مناهج التعليم الديني أن نجعل هذا الأمر نصب أعيننا من خلال المواد المؤهلة للالتحاق بهذه الدراسات؛ ليكون من بين الخريجين في التعليم الديني من يشغل الدرجات التي لم نر فيها أحداً منهم.

سابعاً- إعادة نظام الوقف للإنفاق منه على التعليم الديني:

أشرت إلى أن الوقف الخيري كان المصدر الأول لموارد التعليم الديني، وأن المؤسسات الدينية كانت تتولى الغذاء والكساء والسكنى وتسليم كتب العلم في الماضي، فلما نصب الوقف، وأمت موارده وتولت الدولة أمر التعليم الديني جففت المنابع، وضيق الموارد على هذه المؤسسات. وخير سبيل لهذا أن نحيي روح الوقف من جديد، وأن نجري دراسات تخصصية لتنمية موارد الوقف القديم، وأن نهدم كل بناية موقوفة قديماً لا تدر دخلاً وبنيتها من جديد بما يتناسب مع روح العصر ويحقق شرط الواقف، وأن نبيع ما غلا ثمنه وقل عائدته، ونستبدل به ما قل ثمنه وزاد عائدته.

إن ثقافة الوقف قد غابت عن كثير من علماء المسلمين فضلاً عن عامة المسلمين، وعندما كانت هذه الثقافة سائدة في الماضي كان الأمراء والأميرات والحكام والحاشية يتبارون في تسجيل نماذج شتى للوقف الخيري بين أراض ومبان وأسبلة وآبار ومكاتب وكتب ومصاحف... إلخ.

وامتد خير الوقف إلى الإنسان والحيوان والطير في كثير من ديار المسلمين، فأين هذا الآن؟

إن الدول الغربية قد استفادت من مشروعية الوقف في الإسلام، فأوقفت الكثير والكثير على مراكز البحث العلمي الديني -الصلبي- وغير الديني، ومن يقرأ البحوث التي كتبت بحق الوقف في المؤتمرات التي عقدت لهذا الغرض يدرك هذا الأمر. يذكر الباحث علي عبيد أن حجم الوقف في مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة الأمريكية بلغ: 118.6 مليار دولار، ويقدر الوقف الخاص بجامعة هارفرد: 34.9 مليار دولار، وهو مجموع أحد عشر ألف وقف (موقع البيان: 28 رمضان، 1433هـ، 6 أغسطس، 2013م).

لقد أدرك الغرب قيمة الوقف مع أنه لا أصل له في شريعتهم، ولكنهم لا يرفضون الاستفادة من أي تجربة يمكن أن تخدم العملية التعليمية.

ثامناً- الإثثار من نظام الإيفاد المعرفي في التخصصات النادرة:

إن فرص الإيفاد للدارسين في العلوم الدينية محدودة، وإن وقعت فهي في دوائر معينة، وكثير من الموفدين يقدم خدمة أكثر مما يحقق معرفة، وليس أدل على هذا من أن رسائل الماجستير والدكتوراه التي تعد في العلوم الإسلامية أقرب ما تكون إلى التراجم أو الدراسات الميدانية في بلد الموفد دون الاهتمام بجوهر البحث العلمي.

لقد سألت أحد العائدين من ديار الغرب، وقد حمل رسالة الدكتوراه، مع من كنت تسجل الدكتوراه؟ فأجاب، فقلت له: إنه من كبار المستشرقين، قال: نعم، قلت له: ما موضوع الرسالة؟ قال: النشاط الدعوي الديني في دولتي، ولما كانت دولته لا تساوي حياً في القاهرة فإن إجراء هذه الدراسة غير متعذر، سألته ما أهم النقاط التي دار حولها البحث؟ قال: عدد المساجد، مستوى الأئمة، المؤسسات الدينية، المطابع الإسلامية، أبرز الشخصيات الإسلامية في بلده... إلخ، قلت له: ما الذي استفدته بعد هذه الدراسة علمياً؟ فسكت، ثم قال: العلم بعدد ما مضى، قلت له: هل يفيدك هذا شيئاً داخل المحاضرات والمقررات الدراسية؟ قال: لا، قلت: كم عدد المراجع العلمية التي رجعت إليها في بحثك؟ قال: ولا مرجع؛ لأن الدراسة ميدانية، قلت له: لقد قدمت لهذا المستشرق ما يعجز عن إدراكه بنفسه، وهو الآن سيعد عملاً علمياً مضاداً للنشاط الدعوي في بلدكم، كان هذا منذ عشرين عاماً.

وفي هذا العام: 2013م، وفي الشهر التاسع منه جاءني طالب قد أوفد إلى بريطانيا لمدة تسعة أشهر، وعاد معه الماجستير، وموضوع دراسته في شيء يتعلق بالإمام الشافعي، ولا تتجاوز ستين صفحة.

